

المظهر الجغرافي لمسكلة «أرتريا»

بقلم الدكتور حسن عبدالقادر صالح

الابعاد التاريخية للمشكلة :

عاشت ارتريا فترة طويلة من تاريخها تحت حكم الامويين والعباسيين اذ كانت تعرف اثناء حكم الدولة العباسية لها باسم اقليم باضع (١) .

وقد الحقت بالدولة العثمانية في عام ١٥١٧ ، واصبحت ولاية عثمانية منذ ذلك الحين حتى عام ١٨٨٥ حيث وقعت تحت الاحتلال الايطالي . والجدير بالملاحظة ان ايطاليا دخلت حلبة السباق الاستعماري بين الدول الاوروبية متأخرة ذلك لانها تأخرت في دخول الثورة الصناعية ، كما انها أضاعت الوقت في توحيد بلادها . وقد سبقتها في ذلك كل من اسبانيا والبرتغال وبريطانيا وفرنسا والمانيا وهولندا وبلجيكا . واذا رجعنا الى الوراء لوجدنا ان الزحف على افريقيا لم يبدأ الا عندما اكراه العجز الاقتصادي ساسة هذه الدول الاوروبية على ان يبحثوا عبر البحار عن اسواق ومصادر جديدة لأثراء . وقد شعرت ايطاليا بانها خدعت كلا من بريطانيا وفرنسا في ميدان كان يمكن ان توسع فيه رقعتها خارج حدودها ، كما انها شعرت بخيبة املمها عندما لم تجد على مائدة الاستعمار سوى فتاتها لان ارتريا والصومال وليبيا لم تكن ذات قيمة اقتصادية كبيرة آنذاك . وقد ظلت ايطاليا تسيطر على مستعمراتها الافريقية حتى قيام الحرب العالمية الثانية عندما هزمت ودخل الحلفاء أراضي مستعمراتها .

وعندما حاولت ايطاليا احتلال الحبشة دخلت في معركة عدوة عام ١٨٩٦ ولكن هزيمتها فيها ادت الى خروجها من الحبشة . ولم تنس ايطاليا هزيمتها في هذه المعركة وظلت تراودها فكرة احتلالها حتى سنحت لها الفرصة في عهد موسوليني بمهاجمة الحبشة واحتلالها في عام ١٩٣٥ (٢) . واعلن موسوليني تشكيل افريقيا الشرقية الايطالية من الحبشة

وارتريا والصومال . وعندما استسلمت آخر الحاميات الايطالية في ارتريا عام ١٩٤٢ لقوات الحلفاء واضطرت ايطاليا الى التنازل عن ارتريا وفق معاهدة اوكسمبرج مع تأجيل الحل النهائي لمشكلة ارتريا . واستقر رأي الحلفاء ان تستلم بريطانيا مقاليد الحكم في ارتريا لفترة انتقالية يقرر بعدها شعب ارتريا مصيره . وكانت هذه الفترة مرحلة دقيقة وخطيرة بالنسبة للشعب الارترى وذلك لأن هيلاسلاسي عاد الى الحبشة واعلن الحرب على ايطاليا والمانيا ، وحاول ان يستغل الظروف ليضم اسلاب ايطاليا (ارتريا والصومال) الى مملكته . وأخذ يستغل البسطاء من ابناء الشعب الارترى مستغلا الطائفية الدينية في تحقيق اطماعه التوسعية .

وعندما قامت الجمعية العامة للأمم المتحدة بمناقشة المشكلة الارترية اثناء الدورة الرابعة لانعقادها في عام ١٩٤٩ قررت تأليف لجنة تحقيق للتعرف على الرغبات الارترية واعداد تقرير يشتمل على اقتراحات لحل مشكلة ارتريا (٣) . ومما يؤسف له ان جو الارهاب الذي كان يسود انحاء ارتريا ، على يد اعوان الحبشة وبالتواطؤ مع الادارة البريطانية حال دون التعبير الحر عن الرأي . وامام الخلافات التي ظهرت في تقارير اعضاء اللجنة التحقيق وفي آراء كل من ممثلي شعب ارتريا وحكومات الحبشة وايطاليا وبريطانيا وافقت الجمعية العامة في دورتها الخامسة عام ١٩٥٠ على مشروع امريكي بأكثرية الأصوات واصبح الاساس الذي قام عليه قرار الامم المتحدة بشأن ارتريا والذي نص على ما يلي (٤) .

- ١ - تكون ارتريا وحدة ذات استقلال ذاتي في نطاق اتحاد فيدرالي مع الحبشة تحت سيادة التاج الحبشي .
- ٢ - تمتلك الحكومة الارترية السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية في الشؤون الداخلية .
- ٣ - سلطات الحكومة الفيدرالية تمتد الى شؤون الدفاع والسياسة الخارجية والمالية والتجارة الخارجية والمواصلات والموانيء .
- ٤ - يتكون اتحاد جمهوري بين الوحدتين الفيدراليتين .
- ٥ - المجلس الفيدرالي الامبراطوري يتكون من ممثلين لكل من ارتريا والحبشة متساويين في العدد ، ويجتمع سنويا مرة على الاقل ، ويقدم نصائحه في الشؤون المشتركة للاتحاد .
- ٦ - لكل اهالي الاتحاد جنسية مشتركة .

٧ - لكل اهالي ارتريا بصرف النظر عن اجناسهم واديانهم والوانهم الحق في الحر .
والحقوق الانسانية ومنها المساواة امام القانون ، وعدم اصدار قوانين تمييز في النشاط
الاقتصادي أو التعليمي وحق الملكية والتعليم والتجمع والتحزب وعدم القبض على
انسان الا بأمر السلطة الشرعية . وتكفل هذه الحقوق حكومة ارتريا والحكومة
الفيدرالية .

٨ - تكون الفقرات من ١-٧ الميثاق الفيدرالي الذي يقدم الى الامبراطور للتصديق عليه .

٩ - الفترة الانتقالية لا تمتد بعد ١٥/٩/١٩٥٢ ، وفي هذه الفترة يتم تنظيم الحكومة
الارترية واصدار الدستور الارتري .

١٠ - ترسل الامم المتحدة مندوبا تعينه الجمعية العامة ويساعده خبراء فنيون يعينهم الامين
العام للامم المتحدة .

١١ - في خلال فترة الانتقال تتولى الادارة القائمة للسلطات . وتقوم بعد استشارة مندوب
الامم المتحدة بتنظيم الادارة الارترية باسرع ما يمكن وان تتخذ الترتيبات لعقد جمعية
دستورية يختارها الشعب الارتري .

١٢ - يقوم المندوب بعد استشارة الشعب والادارة والحشة باعداد مسودة دستور لارتريا ثم
يعرضه على الجمعية الارترية للنظر فيه ، على ان يقوم هذا الدستور على اساس
ديموقراطية ومحتويها للضمانات المنصوص عليها في الفقرة السابعة من الميثاق الفيدرالي .

١٣ - الميثاق الفيدرالي ودستور ارتريا يسريان فور التصديق عليهما من قبل الامبراطور
بالنسبة للميثاق ومن الجمعية الارترية بالنسبة للدستور .

١٤ - يقيم المندوب في ارتريا ويقدم تقاريره للامم المتحدة ، ويحول الامين العام سلطات
تنفيذ هذا القرار وتقديم ما يلزم من التسهيلات .

وفي ٢٩/١/١٩٥٢ وافقت الجمعية العامة على قرار يقضي بنقل ملكية الممتلكات
الايطالية في ارتريا الى الحكومة الارترية وذلك بمقتضى المعاهدة المعقودة في ١٠/١١/١٩٤٧
في باريس بين الحلفاء والحكومة الايطالية (٥) . وتم اعداد الدستور الذي وافقت عليه
الجمعية التشريعية في ارتريا ووافقت عليه الامم المتحدة في ١٠/٧/١٩٥٢ ، كما وقع عليه
هياسلاسي في ١١/٩/١٩٥٢ م (٦) .

وقد قامت بريطانيا قبل ان يدخل القرار الفيدرالي حيز التنفيذ بتسليم جميع الممتلكات الارترية الى الحكومة الحبشية مما يناقض قرار الامم المتحدة في ١٩٥٢/١/٢٩ م ويجرد ارتريا من جميع مقومات الدولة الحيوية (٧) . وفي ١٩٦٢/١١/١٤ م قامت حكومة الحبشة بالغاء الاتحاد الفيدرالي بين ارتريا والحبشة واعلان ضم ارتريا نهائيا الى الحبشة . ويعتبر هذا الاجراء انتهاكا صريحا لقرار الامم المتحدة وعدوانا بشعا على حقوق الشعب الأرتري وتعقيدا لمشكلة ارتريا .

الشخصية الاقليمية لارتريا :-

اذا كانت الجغرافيا في الاتجاه السائد بين المدارس المعاصرة هي « التباين الأرضي » اي التعرف على الاختلافات الرئيسية بين اجزاء الأرض على مختلف المستويات فمن الطبيعي ان تكون قبة الجغرافيا هي التعرف على « شخصيات الاقاليم » . ويمكن التعرف على الفاعلية الايجابية للاقليم وعلى التعبير الحر للشخصية الاقليمية بالرغوع الى تاريخه ، وربما تكون الجغرافيا صماء ولكن ما اكثر مما كان التاريخ لسانها . ويقول جلبرت ان شخصية الاقليم كشخصية الفرد يمكن ان تنمو وان تتطور وان تتدهور (٨) .

والبحث الحالي يحاول ان يرسم صورة عريضة لشخصية ارتريا . وايس سهلا ان نركز الشخصية الاقليمية في بلاد مثل ارتريا لما يوجد بها من تباين شديد بين الفروق الاجتماعية الصارخة من ناحية أو بين الساحل والهضبة أو بين الوادي والجبل أو بين الغابة والصحراء من ناحية اخرى . والذي نراه هو اننا ازاء حالة نادرة من الاقاليم من حيث السمات والقسمات التي تجتمع فيها ، ولكن مجموعة الملامح ككل تجعل منها مخلوقا فريدا . فهي بالجغرافيا تقع في افريقيا ، ولكنها تمت ايضا الى آسيا بالتاريخ وهي افريقية في امطارها الصيفية ، ولكنها آسيوية في امطارها الشتوية . هي في اقليم شبه صحراوي وليست منه ، انها ربيع دائم . هضابها معتدلة باردة ، ولكن سواحلها حارة رطبة .

عربية هي بالجد ولكنها افريقية بالاب . ثم انها يجسمها الجبلي قوة بر ، ولكنها بساحلها قوة بحر ، وتضع بذلك قدما في الأرض وقدا في الماء . وهي بموقعها على البحر الاحمر بين الشرق والغرب تقع في الأول ولكنها تواجه الثاني وتكاد تراه عبر البحرين الاحمر والمتوسط ،

وهي تمتد بدا نحو الشمال الشرقي واخرى نحو الجنوب الغربي . وهي توشك بعد هذا كله ان تتفاعل مع العالمين العربي والافريقي ، كما انها جسر عبور وحلقة وصل للعالم الاسلامي بين آسيا وافريقيا .

واذا كان لهذا كله مغزى ، فهو ليس انها تجمع بين الازداد والمتناقضات وانما انها تجمع بين ابعاد وآفاق واسعة بصورة تجعلها امة وسطا . انها وسط في الموقع والدور الحضاري والتاريخي . ولعل في ذلك سر انتفاضتها للدفاع عن حقوقها والمحافظة على كرامتها والمطالبة باستقلالها . وان التفاعل ائتلافا او اختلافا بين موضع وموقع ارتريا يفسر لنا الكثير من مزايا شخصيتها الاقليمية ، تلك الشخصية التي يحاول الاستعمار الحبشي طمسها واذابتها . ونقصد بالموضع بيئة ارتريا الطبيعية بخصائصها وحجمها ومواردها . اما الموقع فهو صفة نسبية تتحدد بالنسبة الى توزيعات الأرض والناس والانتاج ، وتضبطه العلائق المكانية التي تربطه بها ، وهو فكرة هندسية غير منظورة .

الموقع الجغرافي لارتريا

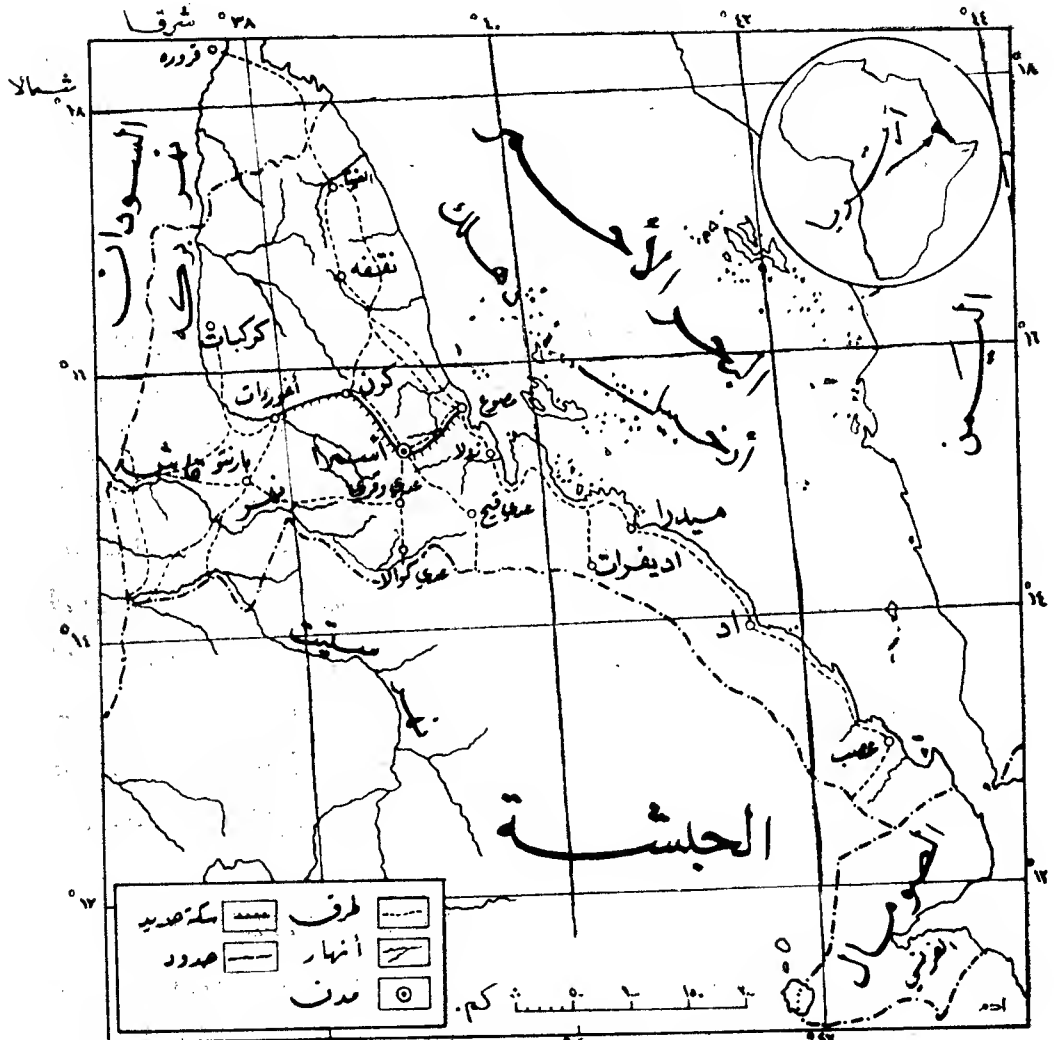
تمتع ارتريا بموقع ممتاز وخطير في الجزء الجنوبي من الساحل الغربي للبحر الاحمر ، فهي منفذ الحبشة الوحيد الذي تطل به على العالم الخارجي ، كما انها تشرف على الطريق البحري المحيط الاطلسي - البحر المتوسط - البحر الاحمر - المحيط الهندي الذي يعتبر ثاني طريق بحري في اهميته بالنسبة للتجارة العالمية بعد الطريق المحيطي الأول السني يعبر المحيط الاطلسي الشمالي ويربط بين غرب اوربا وشمال شرق امريكا الشمالية . والموقع المهم لارتريا كان السبب الرئيسي في خضوعها للنفوذ العثماني والنفوذ المصري ، كما انه كان سببا في خضوعها للتنافس الاستعماري ووقوعها فريسة للاحتلال الايطالي ومن بعده الاحتلال الحبشي . لكن ارتريا برقعها المحدودة نوعا ، وبيئتها التي يتداخل فيها الجبل والوادي والواحة والصحراء ، فضلا عن قصور مواردها المائية المطرية ، تمثل نسبيا موضعا محدود الوزن والامكانيات بحيث لا يتكافأ مع موقعها الحيوي . وان قصور موضع ارتريا المتواضع عن موقعها الخطير وكذلك عجزه عن تحقيق متطلباته ليفسر لنا وقوع ارتريا فريسة وضحية لاطماع أجنبية . ولكن الحياة في ظل الخطر لم تكن وليست شرا مطلقا بالنسبة لارتريا ، بل هي ظاهرة صحية رغم كل التضحيات والثلثن الباهظ الذي دفعته من حريتها . وهي تشهد الهمم وتبعث على اليقظة وتنضج الشخصية .

ولارتريا ساحل طويل على البحر الأحمر يزيد طوله على ٨٠٠ كيلو متر . ويتميز هذا الساحل وخاصة في وسطه بكثرة رؤوسه وخليجانه وجزره البحرية . وترصع شواطئه ارتريا ما يزيد على ٥٠ جزيرة ما بين صغيرة وكبيرة الحجم ، كما انها تنقسم الى ثلاثة مجاميع جزرية رئيسية هي مجموعة جزر أرخبيل دهالك ومجموعة جزر الدناكل ومجموعة الجزر الساحلية . وتعطي هذه الجزر أهمية لساحل ارتريا كما تعطيه رؤوسه البحرية ، فهي ملاجئ للسفن ضد مخاطر الطبيعة والانسان ، لذا فانها تصلح قواعد عسكرية مثلاً تصلح كمحطات لتزويد السفن . ولا عجب اذا علمنا ان الاستعمار الايطالي داخل الى ساحل ارتريا اولاً بحجة حاجة السفن الايطالية الى محطات تزويد ، هذه هي نفس الطريقة التقليدية التي نفذت بها القوى الأوروبية الاخرى الى افريقيا ، اذ انها كانت تقيم لها قواعد على الساحل تمثل محطات تزويد السفن ثم تنشئ علاقات تجارية مع ظهور هذا الساحل (٩) .

ولكي يستفيد الاستعمار الايطالي ومن بعده الاستعمار الحبشي من المزايا الطبيعية للساحل الارترى كان لا بد من بعث الحياة في ظهوره الداخلي . ولكي يدب النشاط في هذا الظهور تطلب الأمر اقامة شرايين للمواصلات تربط بين القلب والاطراف . ولهذا فان قصة المواصلات في ارتريا ترتبط بقصة الاحتلال الايطالي ارتباطاً وثيقاً . فقد كانت لايطاليا اهداف استراتيجية عام ١٨٦٩ عندما اقامت قاعدتها في عصب على ساحل ارتريا الجنوبي لتنافس بريطانيا وفرنسا وتحافظ على مصالحها الحيوية في الملاحة في البحر الأحمر . وبعد ان امتدت السيطرة الايطالية الى مصوع عملت ايطاليا في ظهور كل من عصب ومصوع على تعبيد الطرق وتجهيزها لخدمة المناطق الداخلية التي نزلت اليها بعض الأسر الايطالية واستقرت فيها . وقد ادركت ايطاليا ان توفير المواصلات والاهتمام بها يساعد على ازدهار المناطق التي يسكنها المستوطنون الايطاليون ويجعل هذه المناطق على صلة دائمة بايطاليا .

وقد بدأ الايطاليون في مد الخط الحديدي من « مصوع » عام ١٨٩٨ حتى وصلوا الى اغردات في عام ١٩١٨ (١٠) ، ويعتبر هذا الخط الحديدي العمود الفقري للنقل في ارتريا اذ يبلغ طوله ٣٠٩ كيلو مترات . كما قاموا بعد شبكة من الطرق البرية المعبدة بين العاصمة اسمرا وكل من مينائي ارتريا على البحر الأحمر ، وبينها وبين كل من المدن الاخرى مثل كرن واغردات وغيرها من مراكز العمران ، وهناك طريق ساحلي يربط بين عصب ومصوع .

شکل ۱



الموقع الجغرافي لارتريا

واذا كنا قد أبرزنا دور الموقع في اعطاء قوة دفع وفي بناء حجر الاساس لشخصية
ارتريا الاقليمية فانه يكون كذلك بالنسبة للحبشة بعد ضمها لارتريا عام ١٩٦٢ م. وبدون
ارتريا تصبح الحبشة بلادا حبسية ذات موقع ميت وموضع محدود الوزن والامكانيات .
ولهذا ظلت طوال تاريخها وهي بعيدة عن ارتريا تعاني من العزلة المميتة والحرمان من الوصول
مباشرة الى خط الساحل وموانيه. وقد بقيت وسائل النقل فيها متخلفة حتى منتصف الثلاثينات
من هذا القرن، اذ كانت تعتمد على الوسائل البدائية، وكانت الطرق فيها عبارة عن مسالك
ودروب جبلية وعرة. ويبرز ذلك من ناحية اخرى درجة التخلف الذي عاشت فيه الحبشة في
مجال الانتاج واستثمار موارد الثروة المتنوعة .

أما أخطر مرحلة أسهمت في تطوير النقل ووسائل المواصلات فيها ، فقد ترتبت على
استيلاء الايطاليين عليها في عام ١٩٣٥ . وكان ذلك التوسع معناه امتداد الممتلكات الايطالية
فيما بين ساحل ارتريا على البحر الاحمر وبين ساحل الصومال على البحر العربي ، والاتصال
فيما بينهما عن طريق الهضبة الحبشية في ظهيريها . ويعني ذلك - من وجهة نظر النقل -
الاتصال المباشر بالواجهة البحرية وما يترتب على ذلك من تطور فعلي في احتمالات الاتصال
والنقل والمرور الى المواني . وقد قامت ايطاليا بعد شبكة من الطرق المعبدة التي تربط
اديس ابابا وهي قلب الحبشة بالمواني البحرية وباقاليم الحبشة المختلفة .

ورغم ان الاستعمار الايطالي للحبشة . بما قام به من تعمير لها ، قد استفاد كثيرا من
استغلاله لموارد البلاد وتسخيره جميع امكانياتها في خدمة المستوطنين الايطاليين ، الا انه
يمكن القول بان الحبشة استفادت الكثير من الاستعمار الذي لم يستغرق الا حوالي خمس
سنوات فقط . اذ تهيأت الظروف للحبشة لكي تخرج من نطاق عزلتها وتفتح على العالم
الخارجي نتيجة خلق شبكة من المواصلات ساعدت على وصولها للبحر . ومن الطبيعي ان
تجد الحبشة نفسها ، وقد جنت فوائد كثيرة من اتصالاتها بالعالم الخارجي عن طريق البحر ،
ليست في غنى عن اقليم ساحلي مثل اقليم ارتريا . وهذا يفسر لنا سبب اقدام الحبشة ، بعد

هزيمة إيطاليا في الحرب العالمية الثانية وتصفية مستعمراتها، إلى إنشاء اتحاد فيدرالي مع أرتريا في عام ١٩٥٢ وإلى ضم أرتريا لها وإخضاعها لسلطانها في عام ١٩٦٢. إن هذا العمل يعني فتح الطرق مباشرة ومرور المواصلات باستمرار إلى مينائي عصب ومصوع على ساحل أرتريا، فتحقق لها الحلم الذي سعت إلى تحقيقه منذ زمن بعيد. ولا يفوتنا أن نذكر أن الحبشة ما زالت تنمي طرق مواصلاتها وتدعم الطرق المعبدة فيها وخاصة في ظهير مصوع، كما ينبغي أن نشير إلى أن الولايات المتحدة تشترط على الحبشة أن تخصص جزءاً كبيراً من الأموال والإعانات التي تعطيها لها لدعم الطرق بما يكفل الحركة المرنة بين مصوع وظهيرها وتلبية للحاجيات الاستراتيجية الأمريكية والحبشية في البحر الأحمر.

اللانديسكيب الطبيعي :

تمثل الهضبة الارتيرية (١٨٠٠ - ٢٤٠٠ م) قلب أرتريا بل تمثل العمود الفقري لها. كما تمثل المنخفضات الشرقية والغربية أطرافها. وقد لعبت الانكسارات وتقطيع الأودية لأجزاء من الهضبة دوراً في اتخاذ اللانديسكيب شكلاً جبلياً في كثير من المواضع. وتنحدر الهضبة بشدة نحو الشرق إلى السهل الساحلي الذي يحف بالبحر الأحمر والذي تتراوح سعته بين ١٦-٨٠ كيلومتراً، ويسمى سهل الدناكل، وهو سهل رملي ضيق في الشمال ومنتع في الجنوب. كما تنحدر تدريجياً نحو الشمال والغرب بحيث يتخذ اللانديسكيب شكل الأراضي المنخفضة التي تشابه السهول الشرقية للسودان وصحاري غرب الجزيرة العربية. وإلى الشرق من السهل الساحلي تمتد سلسلة من الجبال الساحلية المرجانية الضيقة التي تزداد ارتفاعاً نحو الجنوب حيث يصل ارتفاعها إلى ٢٠١٠ م قرب ميناء عصب على البحر الأحمر (شكل ٢).

وتنبع من مرتفعات أرتريا أنهار عديدة تجري في الجزء الشمالي وتنحدر إما غرباً وشمالاً لتدخل الأراضي السودانية مثل أنهار مارب (القاش) والبركة وعنسه، أو شرقاً لتصب في البحر الأحمر مثل أنهار كوميلي وحدثا وعلجدي. ويمكن الاستفادة من مياه هذه الأنهار في الري، كما أن إمكانية كبيرة للاستفادة من السيول الموسمية عن طريق شق قنوات تستوعب هذه السيول.

شكل ٢



الأنديسكيب الطبيعي

وتتميز ارتريا بفصلين مطيرين ، أحدهما موسم الامطار الصيفية حيث تسقط الامطار على كل جهات ارتريا باستثناء السهل الساحلي وامتداده نحو الداخل . أما الأمطار الشتوية فتسقط على السهل الساحلي وامتداده نحو الداخل بفعل تأثير الرياح التجارية الشمالية الشرقية . ويختلف توزيع كمية الأمطار من جهة الى أخرى ، فبينما يبلغ متوسط المطر السنوي نحو ٧٥٠ ملم على الهضبة ومنخفضات القاش وستيت فإنه يبلغ نحو ٢٥٠ ملم على المرتفعات الشمالية ومنخفضات البركة ، ويصل الى ١٠٠ ملم فقط على الطرف الشمالي من السهل الساحلي .

وتتنوع التربة داخل ارتريا ما بين تربات فقيرة وغنية ، اذ توجد التربة الرملية الصحراوية التي تكثر بها السبخات في سهل الدناكل ، كما تنتشر التربات الجيرية والبركانية على الهضبة ، بينما تتركز التربات الفيضية في الوديان النهرية وبعض المنخفضات .

ويعتبر النبات الطبيعي في ارتريا صورة منعكسة عن التضاريس والمناخ والتربة ، اذ تنتشر الغابات حول ضفاف الانهار وفي المناطق الوفيرة الأمطار ، وتسود الحشائش على سطح الهضبة ، كما يقل النبات ويصبح فقيراً في السهل الساحلي وبعض المنخفضات .

وفي النتيجة ، فإن ارتريا كغيرها من البلاد الأخرى تعرف لاندسكيباً متغيراً وان كان لا يخضع للفوارق البعيدة . ومع ذلك فليس الأمر تنافراً ينقض مبدأ التشابه ويخرج عليه تماماً ، بقدر ما هو اختلاف اقليمي ثانوي الدرجة . ولا شك ان الاختلاف في اللاندسكيب الطبيعي من شأنه ان يعكس ايضاً وبالضرورة على المحاصيل الزراعية والانتاج بل والسكان والحياة الخ .. ومن الطبيعي ان يتنوع الانتاج الزراعي في ارتريا التي تمتد ما بين خطي عرض ١٢ر٥° - ١٨° شمالاً بحيث يمكن ان تنتج غلات المناطق الموسمية علاوة على غلات المناطق الصحراوية . وكذلك فان اختلاف اللاندسكيب ما بين جهات تنخفض أكثر من ١٠٠ متر دون مستوى سطح البحر الى جهات ترتفع أكثر من ٢٠٠٠ متر فوق مستوى سطح البحر يؤدي الى تنوع في الغلات ما بين غلات المناطق الحارة الى غلات المناطق المعتدلة الباردة .

الانتاج الاقتصادي الارتري :

من الطبيعي ان يتنوع الانتاج الاقتصادي الارتري تبعاً لتنوع اللاندسكيب الطبيعي ، وهذا يؤكد حقيقة هامة وهي ان ارتريا تستطيع ان تعتمد على نفسها بحيث يمكنها ان تنتج

غلات وفيرة ومتنوعة تسد حاجة السكان المحليين وتصدر ما يفيز عن حاجتهم الى الخارج ،
واذا كانت السلطات الاستعمارية الابطالية والبريطانية والحشية تروج الفكرة القائلة بأن
ارتريا تواجه عجزاً اقتصادياً وانها لا تتمكن من الاعتماد على نفسها من ناحية الانتاج وتوفير
المواد الغذائية لسكانها فان من المؤكد انها فكرة خاطئة ولا تقوم على أساس علمي مدروس .
ان ذلك كله لا يعدو ان يكون اكثر من محاولات يقوم بها الاستعمار من أجل طمس الشخصية
الارترية والتشكيك في قدرة الشعب الارترى على الانتاج دون الاعتماد على غيره . واذا كانت
ارتريا تعاني اليوم من مشكلة التخلف الاقتصادي فان المسؤولية تقع على كاهل السلطات
الاستعمارية التي تعاقبت عليها ولا تزال جاثمة على صدرها ، لأن سياساتها تقوم على ترسيخ
هذا التخلف الاقتصادي وتدعيمه بكل الوسائل لتنفيذ مآربها في قتل الشخصية الارترية
واجبارها على الركوع والخضوع السياسي لغيرها .

وفي المجال الزراعي نجد ان الحبوب تحتل نحو ٨٧٪ من مجموع المساحة المزروعة في
ارتريا ، تتلوها بذور الزيت التي تحتل ١٠٪ ، اما الخضراوات والفواكه والالياف النباتية
والبن والشع والقطن والموايح فلا تحتل سوى ٣٪ فقط (١١) ، وهذا يؤكد عدم اهتمام الاستعمار
الحبشي المحلي بتنظيم توزيع الغلات الزراعية توزيعاً يتناسب مع الظروف الطبيعية والبشرية
لأترتيا . ان الانتاج الزراعي الارترى بتنوعه يمكن ان يدر على سكان ارتريا ارباحاً وفيرة
لو وجد العناية والتنظيم والوعي ، وهو بحاجة الى اعادة توزيعه بحيث يكون للمحصولات
النقدية التي تتناسب مع ظروف البيئة الطبيعية مكاناً هاماً في المساحة المزروعة .

واذا ما انتقلنا الى توزيع المحاصيل الزراعية وجدناها تبدي من التوطن المحلي والتركز
قديراً كبيراً ان لم يكن شبه مطلق احياناً . فالقمح تستأثر به سفوح الهضبة شمال ارتريا ،
بينما تنمو الذرة الشامية في المنحدرات الشرقية وعلى نطاق محدود من سواحل البحر الاحمر ،
اما الذرة (مشيلا) التي يصنع منها الخبز الوطني فتنتشر زراعتها في الأراضي المنخفضة . أما
الموز فيتركز في وادي بركة وفي رفاع متناثرة من ساحل البحر الأحمر حيث تشجع خصوبة
التربة على زراعته . أما البن فأكثر مناطق ارتريا ملائمة لزراعته هي المنحدرات الشرقية
للحضبة وخاصة في مديرية حماسين . ويزرع القطن في مناطق تسني وبارنتو وأم حجر ،
ولكن على نطاق ضيق ، بينما يزرع الطباق في مناطق دوقلي وكرن وتكمبيا .

وتغطي الغابات نحو ٥٠٪ من مساحة أرتريا ، وهي من اهم مصادر الثروة الطبيعية في أرتريا . ومن الاشجار ذات القيمة الاقتصادية الكبيرة في أرتريا اشجار الدوم التي تنتشر في اودية بركة والقاش وفي منطقة كرن المرتفعة ، واشجار اليورفوبيا التي تنمو في الهضبة والمرتفعات الشالية واودية القاش وسيت . وتقوم صناعات عديدة هامة على هذه الاشجار التي تتعرض للاهمال في الوقت الحاضر .

وتعد الثروة الحيوانية احد المصادر الرئيسية للاقتصاد الارترى ، لتوفر المراعي الطبيعية التي تغطي نحو ٧٥٪ من مساحة أرتريا . ويقدر مجموع الابقار في أرتريا بنحو ٤ مليون رأس كما يوجد بها نحو ٦ مليون رأس من الضأن والماعز ونحو نصف مليون جمل (١٢) وتصدر أرتريا الابقار والجلود الى الخارج ويعطي استغلال الثروة البحرية دخلا هاما للبلاد ، اذ تعتبر شواطئ أرتريا غنية بالاسماك التي تصدر للخارج .

اما في مجال الثروة المعدنية فيمكن القول بان أرتريا غنية بكثير من المعادن مثل الذهب الذي يوجد في عروق الكوارتز في الصخور البلورية والرواسب النهرية اي في المناطق المرتفعة والمنخفضة ، وكذلك الحديد الذي توجد كميات كبيرة منه في عدة مناطق من الهضبة وفي جبال جندم وفي سفوح التلال خلف ميناء مصوع . ويستخلص الملح من ماء البحر بالتبخير في منطقة الدناكل الساحلية ، ويصدر معظمه الى الخارج وخاصة الى بعض اقطار آسيا . وتكثر املاح البوتاسيوم في السهول الساحلية وخاصة سهول ميناء عصب وسهل الدناكل مما يجعل منه مادة رئيسية في صادرات أرتريا . وقد ثبت وجود البترول في المنطقة الواقعة حول مصوع والممتدة الى شبه جزيرة بوري وفي داخل المياه الاقليمية الى خليج دهلك . وقد تدفق البترول قرب مصوع بشكل برك ولكن السلطات الحبشية قامت بردم هذه البرك بقصد تحطيم الاقتصاد الارترى (١٣) .

ومن اهم الصناعات الارترية صناعة الملح والسجائر والزرار والسحق والاحوم المحفوظة والخضروات ومنتجات الالبان والاسماك المحفوظة والصابون والروائح العطرية ودبغ الجلود والاسمنت والورق وغزل القطن والكبريت والاكياس والزجاج والادوية

والكهرباء . وتصدر ارتريا الكثير من سلعتها الى الخارج كالاسمنت والكبريت والؤلؤ والمرجان والجلود والملح وغيرها . ويصدر الملح الى الشرق الاقصى والكونغو ، كما تصدر الاسماك والزراير والسجق والاحوم المحفوظة الى المملكة المتحدة .

سكان ارتريا : -

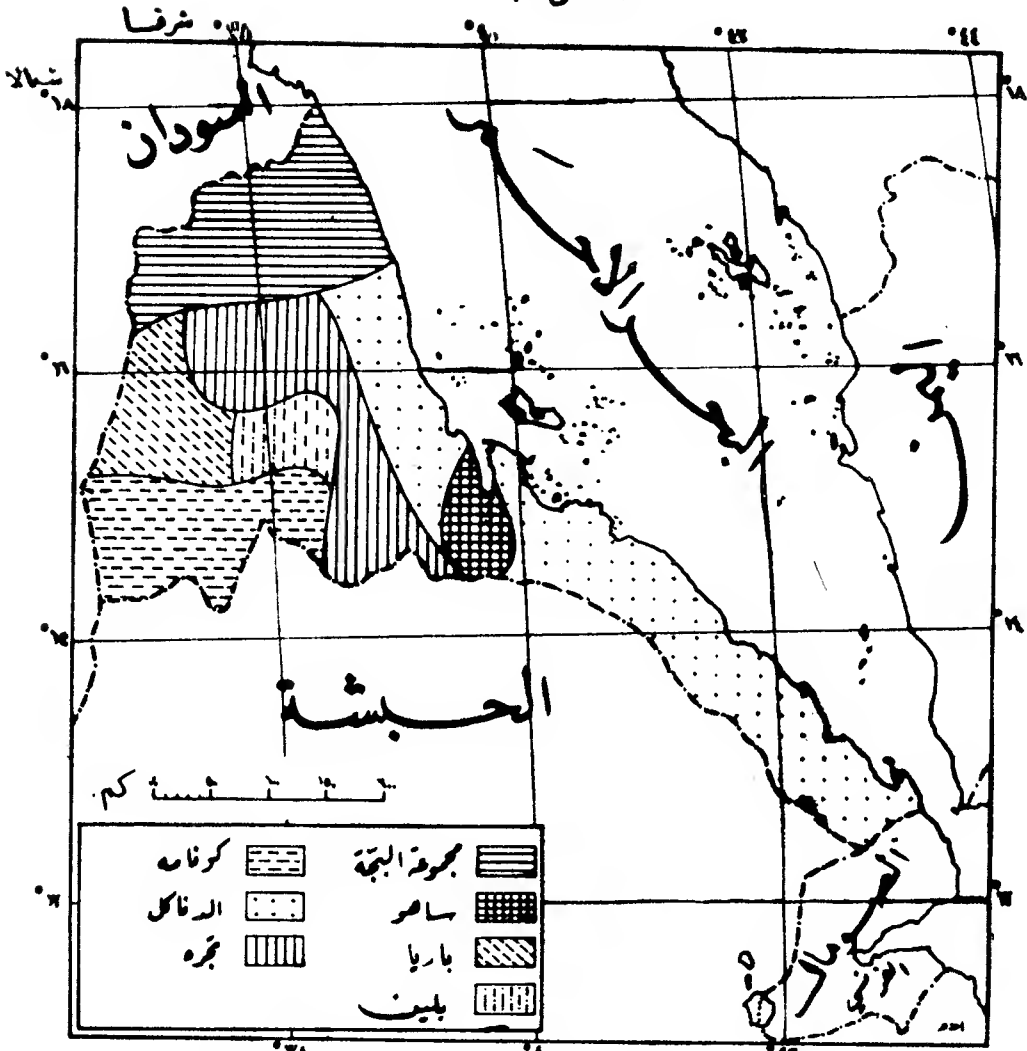
يبلغ عدد سكان ارتريا نحو ٣ مليون نسمة . وينتمي الشعب الارتري الى اصول عربية وافريقية مختلطة ويعتبر نتاجا معاصرا للتزاوجات التاريخية التي تمت بين السكان المحليين والعرب النازحين في فترات مختلفة . ومن بين تاريخ ارتريا الجنسي السهل المعقد والبسيط المركب نخرج انا صورة ارتريا الجنسية المعاصرة وهي جماع وانعكاس لها ودليل عليها . ولا شيء يبدو ابعد عن الحقيقة العلمية من محاولة الاستعمار تصوير ارتريا كمجموعة من الاخلاط والمجموعات الجنسية المتباينة فاذا نظرنا الى التوزيعات الجنسية وما يرتبط بها من توزيعات لغوية ودينية فسنجد ان الساحل الارتري هو المدخل التاريخي السائد ، وهو الذي تلتقى دائما اول واكثر المؤثرات الوافدة التي نزحت واستقرت ثم انصهرت خاصة من عرب شبه الجزيرة العربية . ويعتقد ان سكان ارتريا الاوائل ينتمون الى مجموعة الحاميين . وكان من الطبيعي ان يتحرك هؤلاء الحاميين الرعاة من بيئتهم الاصلية في القرن الافريقي نحو الشمال الى ارتريا والحشة وشرق السودان لانهم وجدوا القسم الجنوبي من قارة افريقيا مسدودا في وجوههم بسبب الحاجز البشري الذي كونه زنوج البانتو في ذلك القسم . وكان من الطبيعي ايضا ان يتخذ الحاميين الرعي حرفة لهم لانهم وفدوا من بيئة مراعي ، والرعي هو حرفتهم المفضلة . وننتظر انه حينما وفدت جماعات الرعاة الى ارتريا وغيرها من الاقاليم المجاورة ان ينتشر كل فريق منهم في المناطق التي تتلاءم من ناحية الحالة النباتية مع حيواناتهم ويطلق على الحاميين احيانا تعبير اثيوبي او تعبير كوشي .

وعندما تدفق الساميون (العرب) من صحراء الجزيرة العربية الطاردة وتواترت بطونهم وقبائلهم وجيوشهم طوال العصر الاسلامي باعداد كبيرة وفعالة متلاحقة لتستقر في ارتريا ، اصبحت التعريب الى حد ما جنسيا . وسواء قلنا تعريبا بالدم ، او امتصاصا للعرب في دماء سكان ارتريا الاصليين فالنتيجة واحدة بحكم وحدة الاصل والجنس منذ البداية . ويعتقد ان هجرة الساميين بدأت بين عامي ٢٠٠٠ و ١٠٠٠ ق.م (١٤) .

وفي ضوء هذه المؤشرات والضوابط يمكننا ان نستعرض اهم ملامح صورة ارتريا المعاصرة جنسيا ولغويا ودينيا . فاما جنسيا فالارتريون اليوم هم في النهاية سكان ارتريا الذين اقاموا على ارضها وانصهروا فيما بينهم ، يجمعهم جنس واحد وان اختلفوا في الثقافة وتعددت قبائلهم . وفي ملامح الارتري وقسمات وجهه السحنة العربية الواضحة وليس في اوصافهم العامة ما ينطبق على مميزات الزنوج (١٥) . ويقول جون جنتر (١٦) عن الشعب الارتري هم شعب اكثر رقيا من الاحباش وقل تزواجا مع الزنوج عظامهم دقيقة وملاحهم محدودة ، وجوههم سمحة ، ولون بشرتهم اسمر مشوب بحمرة واجسامهم مستوية .

ويتكون الشعب الارتري من قبائل متعددة ترجع بعضها الى اصول عربية والبعض الآخر الى اصول افريقية . ومن القبائل المعروفة في ارتريا مجموعة البجة التي تتألف من قبائل بني عامر والهدندوه والعبابدة والبشاريه (١٧) . ويبلغ عدد افراد هذه المجموعة من القبائل نحو نصف مليون نسمة غالبيتهم من المسلمين الذين يمتثلون الرعي ، وتنتشر هذه القبائل في مناطق مصوع ووادي البركة وسفوح هضبة ارتريا والسهول الساحلية . اما مجموعة تجره فهي فرع من الاحباش المقيمين في اقليم تجره ، وبقيمون في هضبة ارتريا قرب الحدود مع الحبشة ويزيد عددهم على نصف مليون نسمة (١٨) . اما مجموعة قبائل الباريا فهي خليط من الاصول العربية والافريقية وتعيش في منخفضات نهر القاش . اما مجموعة الدناكل فهي خليط من العرب والنوبة والاغريق وتنتشر على طول الساحل والصحراء الواسعة في مديريات الساحل والبحر الاحمر ودنكاليا وعلى الاخص المنطقة الممتدة من مصوع الى عصب . . اما مجموعة قبائل الساهو فهي ذات اصول افريقية وتنتشر في مديرية أكلي قوزاي . وهناك قبيلة « البلين » وهي من اكبر القبائل في مديرية كرن ويقطن بعض افرادها ايضا في منطقة القاش ، ويعتقد بأن أصل هذه القبيلة من جاوة . ومن القبائل الكبيرة في ارتريا « الكونامه » ذات الاصول الافريقية ويسكنون الآن في الجنوب الغربي من ارتريا . ورغم اختلاف الاصول التي تنتمي اليها القبائل الارترية وتعددتها فان القبائل ذات الاصول العربية تشكل الغالبية العظمى للشعب الارتري ، كما ان التنظيم السائد هو النظام القبلي وان كان يتباين من قبيلة لآخرى . (شكل ٣) .

شكل ٣



توزيع القبائل الرئيسية

واذا التفتنا الى الجانب اللغوي فاننا نجد بان اللغتين العربية والتجريدية هما لغة الشعب الارثري . واللغة التجريدية قريبة من اللغة العربية ، ولا عجب في ذلك فهي احدى اللغات السامية ، كما ان اتصال العرب الوثيق بارتريا ساهم في تقارب اللغتين . واذا كان لكل مجموعة قبلية لغتها الخاصة بها فهي لسان داخلي تجمع بينه وبين العربية اي ان معظم القبائل

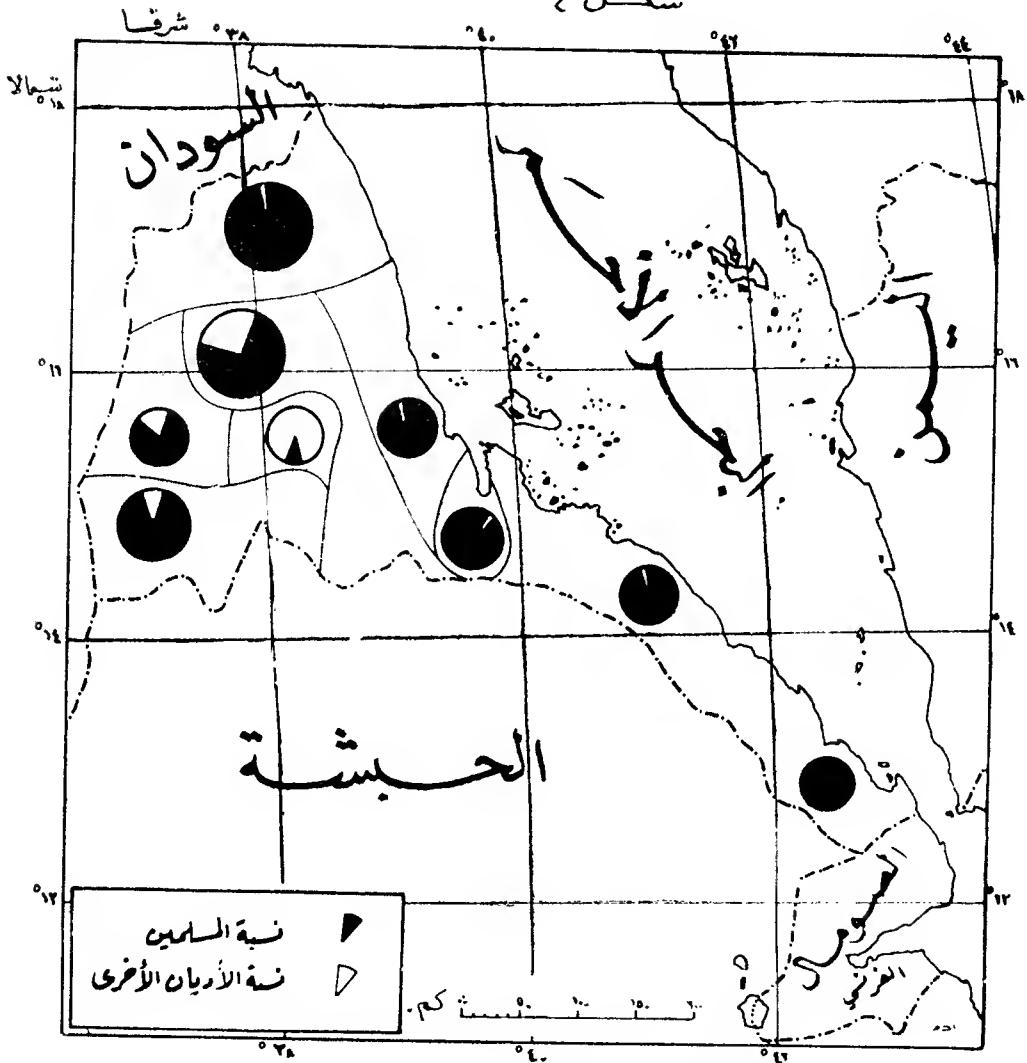
مزدوجة اللسان . فمثلا يتكلم الدنا كل لغة حامية تسمى لغة عفر (١٩) او اللغة الدنكلية الى جانب العربية ويتكلم البجة اللغة البضاوية الى جانب العربية . وتعتبر اللغة العربية لغة المخاطبة والتفاهم بين المسلمين كافة ، ومن هنا نجد انها اصبحت اللغة السائدة ثقافة ومخاطبة .

أما عن الناحية الدينية فالشعب الارترى شعب مسلم عريق في الإسلام ، وقد دخل الاسلام الى تلك البلاد في اوقات مبكرة بل انها كانت اول قطر دخله المسلمون خارج الجزيرة العربية اذ كانت الهجرة الاولى المعروفة بهجرة الحبشة الى ارتريا وليست الى الحبشة (٢٠) . ولما كانت الشواطىء الارترية هي مدخل الاسلام الى ارتريا فن الطبيعي ان نجد انتشار الاسلام يعم بين صفوف القبائل التي تسكن سواحل ارتريا اولا ثم ينتقل بعدئذ الى الداخل لتعنتقه كثير من القبائل التي كانت تدين بالمسيحية او القبائل الوثنية . وفي ارتريا ٢٢٦ قبيلة تدين بالاسلام و ٧٥ قبيلة تدين بالمسيحية وفيها أقليات مسلمة . وتنتسم ارتريا الى ثمان مديريات ، خمس منها خالصة للمسلمين وهي مديريات البحر الاحمر وكرن والساحل ودنكاليا واغردات ، وثلاث منها مشتركة بين المسلمين والمسيحيين وهي مديريات اكس غزاي وسراي وحماسين التي تقع ضمنها اسمرا العاصمة (٢١) . (شكل ٤) .

ويعني هذا التوزيع ان المسلمين يتركزون في النصف الغربي السهلي وفي الساحل السهلي بنسبة ٩٥٪ من مجموعها في حين يتركز المسيحيين في النصف الشرقي الهضبي بنسبة ٨٥٪ من مجموعه . وهنا يتبلور معامل الارتباط بين الاسلام والكنطور (خط الارتفاع) : فيبدو الاسلام بوضوح ديناً يعتنقه سكان السهول في الشرق والجنوب والغرب ، كما تبدو المسيحية كجزيرة منعزلة في الهضبة ومحاطة بالاسلام . وينطبق هذا الكلام ايضا على سكان الحبشة اذ نجد ان الاسلام يتركز في الشرق والجنوب حيث المركز هرر وحيث العنصر السائد هو الجلا والدناكل ، في حين ان الهضبة في الغرب هي القطعة المسيحية القبطية القديمة التي تمثل اكبر جزيرة مسيحية في افريقيا (٢٢) .

ومن الامور الهامة التي ينبغي ملاحظتها ان الاسلام في افريقيا عامة وفي ارتريا والحبشة خاصة يمر في توسع ديناميكي مطرد بعيد المدى ، بل لعله اليوم اكثر الاديان نموا عدديا

شکل {



توزيع المسلمين

فهو من ناحية يكسب كل يوم أرضاً جديدة وقوى مضافة على امتداد جبهة عريضة في افريقيا عامة وادريا خاصة ، ومن ناحية اخرى يتفق ان نسبة المسلمين تزايد باستمرار - رار مع الوقت بسبب تفوق معدل المواليد المسلمين تقليديا . اي ان الاسلام يكسب ، ويكسب

بمعدل الرجب المركب ، ومن المرجح ان قوته النسبية في ديموغرافية ارتريا ستتمدد باستمرار ولعل هذه المشكلة تؤرق سلطات الحبشة المسيحية وتجعلها تبني السود امام انتشار الاسلام بل تحاول سحق الاسلام والمسلمين في ارتريا بتشديد الضغط عليهم وفق سياسة مرسومة يشارك في تنفيذها الاحباش والصهاينة . ولكن اذا كانت السلطات الحبشية قد استعملت سلاح الطائفية ونجحت في اشعال الارهاب وبث الرعب بين صفوف الشعب الارتري للضغط عليه من اجل قبول الاتحاد مع الحبشة في الماضي فان هذا السلاح قد فشل اليوم عن طريق التوعية التي تقوم بنشرها جبهة تحرير ارتريا بين ابناء الشعب الارتري ، اذ تجدد المقاتل الارتري المسيحي يحارب الى جانب المحارب الارتري المسلم في وحدة وطنية مترابطة من اجل تحقيق الحرية والاستقلال لارتريا .

الاستعمار الحبشي لارتريا

كان يوم ١٥ ايلول ١٩٥٢ يوما اسود في تاريخ ارتريا عندما بدأ تنفيذ قرار الامم المتحدة الخاص باقامة اتحاد فيدرالي بين ارتريا والحبشة ، وكان يوم ١٥ تشرين اول ١٩٦٢ يوم حداد على وقوع ارتريا في الاسر الحبشي عندما استولت الحبشة عليها وضمتها اليها تحت اسم الامم المتحدة وبصر العالم . وهذه الاحداث المؤسفة والمهازل المستنكرة ما هي الا تكرار للمأساة فلسطين عندما قررت الامم المتحدة تقسيمها بين العرب واليهود في ٢٩ تشرين ثاني ١٩٤٧ ، ولنكتبها عندما قامت دولة اسرائيل في ١٥ ايار ١٩٤٨ بالاستيلاء على معظم فلسطين كما قامت في ٥ حزيران ١٩٦٧ بالاجهاض على فلسطين كلها علاوة على اجزاء من الاقطار العربية المجاورة . ولا غرابة في هذا التشابه الملحوظ بين فلسطين واحداث ارتريا لان القاسم المشترك الاعظم بينهما هي الولايات المتحدة الامريكية والادوات المنفذة في كلا الحالين هما الصهيونية في فلسطين والامهرية في ارتريا وعلى رأسها الامبراطور هيلاسلاسي (اسد يهوذا) . ويخطط هذا التحالف الثلاثي للقضاء على العرب والمسلمين الذين يعتبرهم خطراً عظيماً يهدد مصالحه .

ويتشابه الاستعمار الحبشي لارتريا مع الاستعمار الصهيوني لفلسطين ، لذا تتلاقى مصالحهما ويشتركان في تنفيذ مخططات متشابهة داخل كل من ارتريا وفلسطين ، بل يتعاونان تعاوناً مخلصاً ومتبادلاً في جميع المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية . واذا

كانت اسرائيل تمثل قاعدة للاستعمار الامريكى في الشرق الاوسط واداة في يده فان الحبشة تقوم بنفس الدور في القارة الافريقية .

ويتخذ الاستعمار الحبشي لارتريا اشكالا عديدة نذكر منها ما يأتي :

١ - الاستعمار السياسي :

بالرغم من اعتراف قرار الامم المتحدة بسيادة ارتريا التامة ضمن اتحاد حقيقي وبان نظام الحكم ديموقراطي في ارتريا الا ان الحبشة تجاهات قرار الامم المتحدة وقامت بتنفيذ اجراءات من شأنها اخضاع ارتريا لسلطانها وحكمها المطلق . ومنذ اللحظة الاولى لصدور قرار الامم المتحدة بدأت مناورات الحبشة ومؤامراتها لجعل الاتحاد المزمع عقده اتحادا صوريا تكون السيادة الكالية فيه للحبشة . ان تجاهل الحبشة لسيادة الحكومة الارترية واحتقارها لنظام الحكم الديموقراطي في ارتريا وعدم احترامها للحقوق الانسانية والحريات الاساسية العامة تحت ستار الحكومة الاتحادية يعتبر تشويها للنظام الاتحادي وسيطرة سياسية على شؤون ارتريا الخاصة . وقد قلمت الحبشة بالغاء نشاط الاحزاب السياسية والنقابات العمالية والاتحادات المهنية في ارتريا ، وعطلت الصحف الوطنية والسياسية ، وسيطرت على المرافق الحيوية في ارتريا ، وفرضت تطبيق القوانين الحبشية كما الغت الاختتام الخاصة بحكومة ارتريا واحلت محلها الاختتام الحبشية ، والغت العلم الوطني الارتري واستبدلته بعلم الامبراطورية للذي يحمل صليب اسد يهوذا . وقد عطلت استعمال اللغة العربية التي فرضها ابناء ارتريا كلغة رسمية في الدستور الارتري ، كما عطلت الدستور نفسه والغت البرلمان .

وبعد مرور عشر سنوات على قيام الاتحاد الفيدرالي المزيّف بين ارتريا والحبشة اعلنت الحبشة قرار ضمها لارتريا وبذلك تكون قد انكرت وجود الكيان السياسي لارتريا وحكمت عليه بالاعدام . وتعتبر عملية ضم ارتريا خروجاً صريحاً عن جميع المبادئ والمواثيق الانسانية والقانونية لان هناك فقرة قانونية في قرار الامم المتحدة تنص على ان تعديل النظام الفيدرالي او الغاؤه يكون عن طريق الجمعية العامة للامم المتحدة بصفتها مصدر للقرار ، والجدير بالذكر ان الحبشة بضمها لارتريا بالقوة تتحدى قرار الامم المتحدة عام ١٩٥٣ الذي عبر عن مبدأ عدم الضم ، فقد أقر مبدأ ان اي تغيير في الوضع يجب ان يكون مصدره التعبير عن ارادة شعب الاقليم المعنى ، وذلك كشرط جوهري للتغيير . وقد ورد في هذا

القرار ايضا مهذا آخر يؤكد انه لكي يعتبر الاقليم متمتعا بالحكم الذاتي في الشؤون الاقتصادية أو الاجتماعية أو التعليمية ، من الضروري ان يكون شعبة قال زال قسطا كاملا من الحكم الذاتي .

٢ - الاستعمار العسكري :

يعتبر قرار الحكومة الحيشية القاضي باحتلال اترتيا عسكريا وضمها الى املاكها في عام ١٩٦٢ عملا مناقضا لحقوق الانسان ومنافضا لقرار الامم المتحدة بشأن تشكيل الاتحاد الفيدرالي بين الحبشة وارتريا . وان الاحتلال العسكري لارتريا هو اعتداء صارخ على شعب مسلم وتقييد لحرية وتسلط على سيادته في وطنه . ويقوم الاحتلال العسكري بارتكاب ابشع الجرائم ضد الشعب الارترى من تقتيل وتحريقت وتجريع وتشريد وانتهاك للاعراض والمقدسات . ومن امثلة اعمال الابداء التي يقوم بها الاحتلال العسكري لارتريا تلك الحملة الواسعة التي شنتها السلطة العسكرية الحيشية في شباط ١٩٦٧ ضد عدد كبير من القرى عن طريق القصف الجوي وانزال المظليين واستعمال الاسلحة الثقيلة وقنابل النابالم وقنات من المواطنين الارباء اكثر من ٢٥٠٠ نسمة مما ادى الى الجوع اكبر من ٣٠.٠٠٠ نسمة الى السودان والصومال (٢٣) . ولا شك ان الارهاب العسكري الحيشي لارتريا ماهو الاصوره منعكسة عن الارهاب العسكري الاسرائيلي للمناطق العربية المحتلة لان خبراء اسرائيل العسكريين يقومون بتدريب افراد من الجيش الحيشي على الاعمال الحربية ضد رجال العصابات سواء في اسرائيل نفسها او في الحبشة . وقد قامت حكومة الحبشة بتقليد الاعمال الارهابية التي كانت تقوم بها العصابات اليهودية في فلسطين قبيل قيام اسرائيل ، اذ انشأت في عام ١٩٥٤ عصابات الشفعا التي قامت باعمال السلب والنهب وزرع الرعب بين المواطنين الارترين الذين يطالبون بحقوق بلادهم .

وينبغي ، ونحن بصدد موضوع الاستعمار العسكري ، ان نذكر بان مصالح الحبشة والولايات المتحدة الامؤيكية واسرائيل تتلاقى ضد حركة ارترتيا الاستقلالية . فالحبشة تقوم سياستها ضمان منفذ لها الى البحر الاحمر ، والولايات المتحدة تعتبر البحر الاحمر وخاصة ساحله الارترى اساسا لاستراتيجيتها في منطقتي جنوب وشرق السويس ، واسرائيل تخشى ان يتحقق الاستقلال لارترتيا فتقوم سيطرة عربية اسلاميه على نحو ٨٠٠ كياو متر من شواطئ البحر الاحمر الغربية مما يساعد على احباط مخططاتها المرسومة لتحويل البحر الاحمر الى

بحيرة يهودية. وحيث ان الاستراتيجية الامريكية الحالية تقوم على اساس المحافظة على مصالحها
البحرولية في الشرق الاوسط وعلى اساس الحشد من النفوذ بين السوفييتي والصيني في المحيط
الهندي والبحر الاحمر فان الولايات المتحدة الامريكية تجد تحت ظل هذه الظروف صعوبة
واضحة في محاولاتها لتأمين البحر الاحمر ، اذ لم تعد قادرة على ان تكسب لاسطولها او
طائراتها قواعد على الجزء الاكبر من سواحل البحر الاحمر ، التي تقع اغلبها داخل حدود
عربية او صومالية . وعلى ذلك فلا يبقى امام الولايات المتحدة سوى شواطئ ارتريا ، التي
تستطيع اسرائيل تحت ستار الدعوى بالتعاون الحبشي الاسرائيلي ان تستخدمه لتأمين مدخل
البحر الاحمر الجنوبي فتعنى حكومة الحبشة من غضبة الدول الافريقية التي اكدت في
وثائقها وسياساتها رفض سياسة الاحلاف والقواعد . والجدير بالذكر في هذه المناسبة ان
الولايات المتحدة الامريكية كانت قد عقدت معاهدة مع الحبشة في ٢٢ أيار ١٩٥٣ لانشاء
قواعد عسكرية امريكية معظمها في ارتريا وخاصة منطقة اسمرا . وليس من شك في ان من
اهداف هذا الوجود الامريكي بالاضافة الى الاهداف سالفة الذكر هو تدخل امريكا في
افريقيا والشرق الاوسط . ومن امثلة هذا التدخل الامريكي اشتراك القوات الامريكية في
عام ١٩٦٦ في عمليات حربية ضد الثوار الارترين في منطقة كرن ، علاوة على الدور الذي
لعبته قاعدة اسمرا الامريكية في حرب حزيران ١٩٦٧ لصالح اسرائيل (٤٢)؛

واذا كانت الولايات المتحدة الامريكية هي المساعد الايسر للاستعمار العسكري الحبشي
في ارتريا فان اسرائيل هي ساعده الايمن . وقد ذكرت الانباء ان اسرائيل استأجرت من
الحبشة في عام ١٩٧٠ م جزيرة حالب التي لا تبعد كثير عن مضيق باب المندب وان
اسرائيل ستقيم في هذه الجزيرة قاعدة بحرية وجوية . وتعترف الحبشة انه لولا انتصار اسرائيل
في حرب حزيران ١٩٦٧ ، لكانت تتعرض اليوم لضغط عربي شديد . ومن جهة اخرى فان
اسرائيل تجني فائدة من المصالح الحبشة ، وعلى سبيل المثال ، فان جهود الحبشة لحراسة القطاع
الجنوبي للبحر الاحمر كي تمنع تهريب الاسلحة من اليمن الى جبهة تحرير ارتريا تدعم حرية
الملاحة الاسرائيلية في تلك المنطقة . وفي هذا الصدد تعتبر الحبشة اسرائيل حليفها الطبيعية
والاساسية ، فالمصالح المشتركة بين البلدين قائمة الى حد بعيد على الحاجة الى مواجهة العدوان
العربي ويشكل هذا الامر ايضا اساسا لجزء كبير من التعاون بين البلدين . وقد عرضت
اسرائيل ان تقوم بتزويد الحبشة بشبكة رادار تقيما على شواطئ ارتريا للكشف عن عمليات

تهريب الاسلحة من جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية الى ثوار ارتريا ، وبعده من زوارق الدورية ولنشات الصواريخ السريعة عن ان يقوم ضباط وجنود من القوات البحرية الاسرائيلية باقامة وتشغيل اجهزة الرادار والقطع البحرية ، لحين اتمام تدريب قوات حبشيه للعمل عليها بكفاءة . ويبدو منطقيا ان هدف اسرائيل من وراء التقدم بهذا العرض هو مد وجودها البحري الى جنوب البحر الاحمر تنفيذا لاستراتيجية بحرية تم تخطيطها لمابعد حرب ١٩٦٧م وتهدف هذه الاستراتيجية البحرية الجديدة الى منع البحرية العربية من احتمال اغلاق الملاحة عبر البحر الاحمر في وجه السفن الاسرائيلية ، او السفن الاخرى المتجهة الى اسرائيل ، وهو احتمال دعمته اخيرا حادثة التعرض لسفينة النقل (كورال سي) في منطقة باب المندب . لذلك فمن المنطقي والحالة هذه ان يشتد اهتمام اسرائيل بارتريا ، وبصبح من المفيد لها تعرض على الحبشه استعدادها لتوفير الضمانات اللازمة لتأمين منع تسلل الاسلحة الى ثوار ارتريا ، مقابل السماح لها بوجود اسرائيلي في احدى موانئها ، او على جزيرة او بعض جزر من المجموعة المنتشرة امام مصوع ، وهو الوجود الاسرائيلي الذي سيبدأ بشبكة رادار وبعض القطع البحرية الخفيفة السريعة ، ثم يتم تدعيمه باقامة المطارات وتحويلها الى قواعد جوية لطائرات الاستطلاع والقصف .

٣ - الاستعمار الاقتصادي :

تعتبر تصريحات امبراطور الحبشه الدائمة بانه لا يعنيه من ارتريا سوى الارض دليلا واضحا على الجشع الاستعماري الحبشي . وان استيلاء حكومة الحبشه على المرافق العامة الارترية خلال فترة الاتحاد الفيدرالي لدليل على محاولات الحبشه الرامية الى سيطرتها على الاقتصاد الارتري ، وان عدم قيام الحبشه بتنفيذ بنود الوحدة الجمركية مع ارتريا قد أضر اقتصاد ارتريا ، وزاد من هذا الضرر استيلاء الحبشه على حصة ارتريا من دخل الجمارك . وبعد ضم الحبشه لارتريا اصبحت الاخيرة مزرعة لاستغلال الحبشه . اذ تستفيد الحبشه من الضرائب التي يدفعها الشعب الارتري باضافة الى دخل الجمارك التي تفرض على الواردات الى ارتريا والحبشه . كما تستفيد من سيطرتها على كثير من الاراضي والمرافق العامة . وتقوم الحبشه بتشجيع الاستثمارات الاجنبية في ارتريا على نصيبها من الارباح ونظير منح الامتيازات للشركات الاجنبية ، وتقوم الشركات الحبشيه والاسرائيلية والامريكية والايطالية والسويسريه باستثمار رؤوس اموالها في كثير من المشاريع الاقتصادية داخل ارتريا . ومن الامثلة على التسلل الاسرائيلي الاقتصادي داخل ارتريا ما قامت به

حكومة الحبشة من منح المزارعين الاسرائيليين نحو ٧٢٠٠٠ فدان من أخصب الاراضي الاتريه لاستغلالها في الزراعة . وتقوم شركة انكودا الاسرائيليه باستغلال مساحة من الاراضي الزراعية تزيد عن ٥٠٠٠٠ فدان بالقرب من الحدود الاتريه السودانية ، كما تقوم باحتكار حق صيد الاسماك على طول سواحل ارتريا . وقد جعلت حكومة الحبشة امتياز شراء الابقصار الاتريه قاصرا على هذه الشركة وحدها . حيث تقوم هذه الشركة بتعبئة اللحوم في العلب وبتبريد اللحوم واعدادها للتصدير الى اسرائيل وبدفع الجلود ومنتجات الشحوم المقطره اللازمة لصناعة الصابون وكذلك الاسمدة والاسماك المطحونه . وتسيطر شركة هارون اخوان الاسرائيلية على تجارة الاستيراد والتصدير في ارتريا ، كما تحتكر شركة بون فكياتو الاسرائيلية توزيع الادوية في ارتريا والحبشة .

ويعاني الشعب الارتيري فقراً مدقعاً نتيجة حرمانه من استغلال ثروات بلاده ونتيجة اهمال الزراعة والمزارعين وارتفاع قيمة الضرائب والاسعار . وتتبع الحبشة سياسة خطيرة من شأنها ابعاد الفلاحين الارتيريين عن الارتباط باراضيهم الزراعية وهي نفس السياسة التي تطبقها اسرائيل حالياً مع الفلاحين العرب داخل المناطق المحتلة . وكما قامت اسرائيل بالاستيلاء على كثير من الاراضي الزراعية العربية فان الحبشة قامت بترحيل كثير من الارتيريين من من مناطقهم الزراعية وتسليم أخصبها الى الاحباش او الاسرائيليين . واذا كانت الشركات الاسرائيلية تحتكر تجارة الاستيراد والتصدير فان الاحباش يحتكرون تجارة البلاد الداخلية ، ويتشتر هؤلاء التجار الاحباش في كثير من موانيء ومدن ارتيريا الرئيسية .

الاستعمار الثقافي والفكري :

تحاول الحبشة تمهيد ارتريا بعدم اعترافها باللغتين العربية والتجريدية السائدتين في ارتريا ولم يقتصر منع استعمال اللغة العربية في المدارس والمكاتب الحكومية والشركات فحسب بل منعت الحبشة استعمالها في المحاكم الشرعية للمسلمين واستبدلتها باللغة الامهرية . وتقوم السلطات الحبشية بمضايقة العلماء في ارتريا ومنع اية مطبوعات وكتب عربية من الدخول اليها وبعدم السماح للطلبة من المواطنين المسلمين بالسفر الى البلاد الاسلامية لتعلم الدين الاسلامي هناك . ويحصل خريجو الجامعات العربية من الارتيريين على نصف مرتب خريجي الجامعات الاخرى حتى تموت رغبة الشباب من كل دراسة عربية . ولا تعترف حكومة الحبشة بشهادات المدارس الاسلامية في ارتريا وقد اغلقت فعلاً نتيجة لذلك بعض المدارس الاسلامية ومن بينها المعهد

الديني في مصوع . وفي مقابل ذلك تقوم بتسهيل انشاء المدارس المسيحية وملاحية الاليتام التابعة للكنيسة لمحاولة التأثير في ناشئة المسلمين من الفقراء والاليتام (٢٥) وبالإضافة الى ذلك ، تعرضت المناهج والمواد الدراسية في ارتريا الى التحريف وتحولت الى دس وطعن وحقد على الاسلام والعرب وعلى مجادهم وتاريخهم ، وهذا ما فعلته اسرائيل بالنسبة الى العرب في الاراضي المحتلة .

ويقامي الشعب الأرترى من التخلف الثقافي والفكري نتيجة لسياسات الاستعمارية الإيطالية والحبشية . ومن المعروف ان المستعمرات الإيطالية السابقة لا تزال تعاني حتى اليوم من اثر التخلف الثقافي الذي نتج عن محاربة إيطاليا لنشر التعليم بين ابناء مستعمراتها . ولهذا السبب انتشرت الامية وساد الجهل بين صفوف ابناء ارتريا . وزاد خطر الجهل استفحالا بعد ان تسلطت الحبشة على ارتريا وعملت على تأخير التقدم العلمي فيها . وقد قامت الحبشة باغلاق كثير من المدارس في المدن والقرى بحجة ان السكان لا يرغبون في التعليم وان الطلبة لا ينتظمون في الدراسة . كما اصبح التعليم مضطربا في المدارس الارترية لعدم استكمال الكتب والادوات المطلوبة ولمنع التعليم باللغتين الرسميتين لارتريا وهما العربية والتجريدية واستبداهما باللغة الامهرية . ومن الطبيعي ان يتردد الآباء في ارسال ابنائهم الى المدارس الحكومية التي تنكر عليهم لغتهم وثقافتهم وتفرض عليهم مناهج غريبة عنهم تماما .

خاتمه :-

تتخذ مشكلة ارتريا طابعا جغرافيا سياسيا ، اذ ان الموقع الجغرافي الهام لارتريا جعلها محط اطماع الدول الاستعمارية . وتخضع ارتريا الآن للسيادة الحبشية التي سمحت باقامة قواعد عسكرية امريكية واسرائيلية داخل ارتريا . وتلتقي مصالح هذه الدول الثلاث في ارتريا على محاربة أماني الشعب الارتري وعلى ضرب الحركات التحريرية في آسيا وافريقيا . لذا فان هذه المشكلة تستحق اهتمام الدول الآسيوية والافريقية وتحتاج الى البحث عن حلول لها . وهي ليست مشكلة شعب يطالب بحريته واستقلاله فحسب ، كما انها ليست مشكلة داخلية حسب ادعاء الحبشة فلا يجوز البحث فيها ومناقشتها في المحافل والمؤتمرات الدولية ، بل انها مشكلة افريقية وآسيوية ايضا لانها ترتبط بتصارع القوى العالمية المختلفة على السيطرة والنفوذ في منطقة

جنوب البحر الاحمر . وما عملية ابتلاع الحبشة لارتريا سوى تحدي قوي لدول العالم وضرب لقرارات الامم المتحدة عرض الحائط . وان سكوت منظمة الوحدة الافريقية وتغطيتها على هذه المشكلة مجاملة منها لامبراطور الحبشة يعتبر تقصيرا في حق شعب تكالبت عليه قوى الظلم والبغي والعدوان لتطمس كيانه وتذيب شخصيته .

وان الانتفاضة التي قام بها الشعب الارتري متمثلة في ثورته التي تكافح من اجل التحرر والحصول على الاستقلال لتعتبر دليلا واضحا على رغبة الشعب الارتري في الاستقلال عن الحبشة . وستظل هذه الثورة شوكة في حلق امبراطور الحبشة حتى يعترف بجهة تحرير ارتريا بانها السلطة الوحيدة التي تمثل شعب ارتريا وحتى يعترف بالشخصية الارترية والكيان الارتري المستقل . وليس من مصلحة الحبشة ان تقف ضد مطالب الشعب الارتري باعلان حرب الابداء عليه . وقد علمنا التاريخ ان الشعوب لا تقهر وان دولا استعمارية عظمى قد رضخت لمطالب الشعوب ومنحتها استقلالها . وان ما قامت به الدول العظمى ليس ضعفا فيها بقدر ما هو محافظة على مصالحها . لذا فنن الأجدى لامبراطور الحبشة ان يتنازل عن دكتاتوريته بالاعتراف بحق الشعب الارتري في الاستقلال ليحافظ على مصالح الحبشة نفسها ، واذا ظل متزمتا في اتباعه لسياسة دكتاتور البرتغال سالازار مع مستعمراته في افريقيا فانه سوف يندل اذا فات الاوان وسوف يفقد مصالح الحبشة ويعيدها الى عزلة القرون الماضية .

المراجع

- ١ (محمود شاكر ، ارتريا والحبشة . عمان ص ١٤)
- ٢ (محمد صفى الدين ، افريقيا بين الدول الأوروبية القاهرة (١٩٥٩) ص ١٤٩ - ١٥٠)
- ٣ (Pankhurst, E.S., and Pankhurst, R.K. Ethiopia and Eritria, (1941—1952). London 1953. ppi 181-182.)
- ٤ (د . عبد الملك عوده ، السياسة والحكم في افريقيا . القاهرة (١٩٥٩) ص ٤٠٩ - ٤١٠)
- ٥ (عبد الباري النجم ، ارتريا شعبا وكفاحا بغداد (١٩٧١) ص ١٩٦ - ١٩٧)
- ٦ (عمر محمد علي ، اثيوبيا في عصرها الذهبي . القاهرة (١٩٥٤) ص ٩٥)

- (٧) رشيد جبر الاسعد ، اضمواء على القضية الارترية بغداد (١٩٦٩) ص ٣١
- (٨) Gilbert, E.w. The Idea of rhe region. Geog Vol 45. (1960) pp. 157-175).
- (٩) د . محمد صفى الدين (١٩٥٩) ص ١٥٠
- (١٠) د . صلاح الدين الشامي ، النقل في افريقيا واثر الاستعمار في تخطيطه وتشغيله القاهرة (١٩٦١) ص ١٥٨ - ١٦٠
- (١١) عبد البارى النجم (١٩٧١) ص ١٠٣
- (١٢) نفس المرجع ص ١٠٩
- (١٣) نفس المرجع ص ١١٤ - ١١٩
- (١٤) د . راشد براوي ، الحبشة بين الاقطاع والعصر الحديث . القاهرة (١٩٦١) ص ٢٢
- (١٥) عبد المجيد عابدين ، بين الحبشة والعرب . القاهرة ص ١٠٨
- (١٦) جون جنتير ، داخل افريقيا الجزء الثانى ترجمة حسن العروسي . القاهرة ص ١٣٦
- (١٧) د . يسرى الجوهري ، السلالات البشرية . الاسكندرية (١٩٦٧) ص ٣٧٣ - ٣٨٢
- (١٨) محمود شاكر ، ارتريا والحبشة . عمان ص ٣١
- (١٩) عبد البارى النجم (١٩٧١) ص ٥٨
- (٢٠) محمد بن ناصر العبودي ، في افريقيا الخضراء . بيروت (١٩٦٨) ص ١١٥
- (٢١) نفس المرجع ص ١١٥ - ١١٦
- (٢٢) د . جمال حمدان ، العالم الاسلامى المعاصر . القاهرة (١٩٧١) ص ٣٠
- (٢٣) رشيد جبر الاسعد (١٩٦٩) ص ٥٣ - ٥٤
- (٢٤) عبد البارى النجم (١٩٧١) ص ٢١١
- (٢٥) محمد بن ناصر العبودي (١٩٦٨) ص ١١٢ - ١١٧